الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات و مساهماته
في كتابة تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط

أد.بلعربي خالد ،كلية العلوم الإنسانية
و الاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية
جامعة سيدي بلعباس .

prof.Dr.Abdelhamid Hadjiat and his contributions to writing the history of Maghreb central during the middle age.

Abstract.

Rich Algeria Universities teachers of investigators, who devoted the bulk of their historic to writing, and he is the best disposer of affairs that Professor Dr. Abde Hamid Hadjiat cater to the needs of the professors who referred to perpertrators, within the framework of the scientific contribution of the serious and sober in writing the history of Maghreb central during the middle ages, and a follower of its scientific notes effortlessly extensive rainfalls in the completion of the research and scientific literature in the field granulated .and is the history of Maghreb islamic

He did not single out in writing by without another in the area of specialization, but probing the history of Maghreb central during the period of catalytic converters multilateral fields, political, cultural and economic and social development, came the handwritings reflect the most bustling the history and civilization of Maghreb central in multiple periods writes according to scientific curriculum Academic School Algerian .historical style and clear

the Enable during his career scientific, pandering to primary sources and manuscripts in several places of libraries in the world and that the aim of collected and then employed in an analytical framework deep and work to be deployed for researchers, and return to the .consciousness that dissemination comes only a summary of the search for a new article the clarity of the idea, and the Exhaust in the writings of acy of the perceptions, according accur to statements intensive scientific where writing, and sometimes deviates toward elaborated in detail when necessary It also reflected the quiet nature on the quality of his .writings, methods of historic processing, the reader to follow the historic events smoothly expressions, hopefully is pleased Ideas flowing robes and access to real understanding of the historical facts Being dated and a professor at the prolific in its area of competence, .and

graduated from the hundreds of graduate students, and in view of the scientific contribution to the historic have endeavored to write in this research.

مقدمة:

تزخر جامعات الجزائر بالأساتذة المؤرخين المحققين ، ممن كرسوا جل أوقاتهم للكتابة التاريخية، و حسبي أن الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات من الأساتذة الذين يشار إليهم بالبنان، في إطار إسهاماته العلمية الجادة و الرصينة في كتابة تاريخ المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط، و المتتبع لمسيرته العلمية يلاحظ دون عناء الغزارة المستفيضة في إنجاز البحوث و المؤلفات العلمية في مجاله المحبب و هو تاريخ المغرب الإسلامي.

وهو لم يفرد في الكتابة جانب دون آخر في مجال تخصصه، بل سبر أغوار تاريخ المغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطية بمجالاته المتعددة السياسية، و الثقافية، و الاقتصادية، و الاجتماعية،جاءت تلك الكتابات معبرة عن زخارة تاريخ و حضارة المغرب الأوسط في فترات متعددة.

ومؤرخنا يكتب وفق المنهج العلمي الأكاديمي للمدرسة التاريخية الجزائرية بالأسلوب الواضحوقد تمكن خلال مسيرته العلمية،الإنكباب على المصادر الأولية و المخطوطات في أماكن متعددة من مكتبات العالم و ذلك بهدف جمعها ثم توظيفها في إطار تحليلي عميق و العمل على نشرها لاستفادة الباحثين منها، و يعود ذلك إلى وعيه بأن النشر لا يأتي إلا خلاصة للبحث عن مادة جديدة.

ونتلمس في كتابات مؤرخنا وضوح الفكرة، ودقة التصورات وفق العبارات العلمية المركزة حيثما اقتضت الكتابة، و أحيانا يجنح نحو الإسهاب في إيراد التفاصيل عندما تقتضي الضرورة.

كما انعكست طبيعته الهادئة على نوعية كتاباته، وطرق المعالجة التاريخية، فالقارئ يتابع الأحداث التاريخية بسلاسة التعابير، ويسر توارد الأفكار المنسابة وصولا إلى الفهم الحقيقي للوقائع التاريخية.

ولكونه مؤرخا و أستاذا غزير الإنتاج في مجال تخصصه،وتخرج عليه المئات من طلبة الدراسات العليا، و نظرا لإسهاماته العلمية التاريخية،فقد سعيت للكتابة عنه في بحثي هذا، و أرجو التوفيق في ذلك.

1–نظرة في سيرته العلمية[1] :

هو عبد الحميد حاجيات، ولد في مدينة تلمسان يوم20 أكتوبر من سنة 1929م ، و أكمل دراسته ليتحصل على شهادة البكالوريا بوهران سنة 1950م ،ثم على شهادة الليسانس في الآداب العربية في الجزائر سنة 1954م،ودبلوم الدراسات العليا من جامعة بوردو بفرنسا سنة 1959م،ثم نال بعد ذلك شهادة التبريز فيالآداب العربية من جامعة السوربون سنة 1960 وكان الأمل يحدوه لتكملة دراسته العليا، فتمكن سنة 1974 من الحصول على دكتوراه الحلقة الثالثة من جامعة اكس–أن–بروفانس بفرنسا ، ثم على دكتوراه الدولة في التاريخ الوسيط الإسلامي من نفس الجامعة و ذلك سنة 1991م، و قد عمل أستاذنا في الفترة الممتدة من (1966–1975م) أستاذا مساعدا بمعهد التاريخ بجامعة الجزائر،ثم أستاذا مكلفا بالدروس من سنة(1975–1992م) و أستاذا محاضرا من سنة(1992–2001م) ، ثم حصل على لقب الأستاذية سنة 2001 ، وهو متخصص في تاريخ المغرب الإسلامي.

وقد ترأس الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات عدة هيئات، و لجان علمية داخل جامعة تلمسان و في الجامعات الجزائرية الأخرى، فهو مدير مجلة " القرطاس للدراسات الفكرية و الحضارية" التابعة لمخبر الدراسات الفكرية و الحضارية بجامعة تلمسان منذ 2001 ، و عضو في اللجنة العلمية لمجلة المؤرخ لسان حال اتحاد

المؤرخين الجزائريين، و عضو كذلك في مجلة الدراسات التاريخية التي تصدرها جامعة الجزائر بالإضافة إلى عضويته في مجلات تاريخية أخرى محكمة لايسع المجال لذكرها كلها في هذا المقام. كما عين مؤرخنا مديرا للمعهد الوطني للتعليم العالي للثقافة الشعبية بتلمسان من سنة1985–1989م، و رئيسا للمجلس العلمي لكلية الآداب و العلوم الإنسانية سابقا بجامعة تلمسان من سنة1999–2003م، كما أنه عضو في الهيئة الإدارية لجمعية المؤرخين الجزائريين، وهو رئيس لعدة مشاريع بحث جامعية في التاريخ الإسلامي الوسيط، وله شهادات تقديرية تحصل عليها من مختلف الجامعات الجزائرية و الأجنبية لمساهماته في إنجاح الندوات و الملتقيات و المشاركة فيها، كما كرم مرات عديدة ابتداء من بعض الوزارات كوزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، ووزارة الثقافة ،و رؤساء الجامعات تقديرا لخدماته العلمية الجليلة.

وعمل أستاذا زائرا في عدد من الجامعات الجزائرية و لمدة مختلفة مثل جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس، و جامعة وهران، وكان النشر من أبرز مميزات الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات باحثا،لقد طبق المبدأ الأمريكي الشائع في الأوساط الجامعية القائل"أنشر أو اندثر"، و يعود ذلك إلى وعيه التام بأن النشر لا يأتي إلا خلاصة للبحث عن مادة جديدة لجمعها، ثم توظيفها في إطار تحليلي عميق، إن الأسئلة العميقة التي كان يطرحها أستاذنا باستمرار، كانت المحرك الأساسي لإنتاجه العلمي الغزير.

ومما يفسر نجاح أستاذنا في الكتابة التاريخية أمران، أولهما تركيزه على تاريخ المغرب الأوسط السياسي و الثقافي مجالا لبحثه و هو تخصص سبق غيره إليه، و ثانيهما طرحه أسئلة جديدة و البحث في مواضيع تتميز بالطرافة و الجدية و التجديد المنهجي، لقد أدت هذه العناصر مجتمعة إلى نيل الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات اعتراف جميع الباحثين وغيرهم بدراساته وإعجابهم بها،لقد كرس مؤرخنا حياته من أجل تحقيق هدفين أساسيين،أولهما مساهمته في التعريف بالمادة التاريخية الجزائرية و تحقيقها و توظيفها، و ثانيهما إيمانه العميق بضرورة تكوين جيل من المؤرخين الجزائريين لدراسة هذه المادة كخطوة أولى نحو تأسيس مدرسة تاريخية جزائرية.

و لأستاذنا ما يزيد عن عشرين كتابا تأليفا و تحقيقا طبع محليا نذكر من أهم هذه الكتب :

–أبو حمو موسى الزياني،حياته و اثاره ، طبع ثلاث مرات في 1975–1982–2011.

–الجزائر في التاريخ، ج3 العهد الإسلامي، بالمشاركة مع مجموعة من الأساتذة الجزائر1984م.

–عبد الله بن المقفع، حياته و اثاره ،الجزائر 1984.

–دراسات حول التاريخ السياسي و الحضاري لتلمسان و المغرب الإسلامي ج1 .ج2 طبعة عالم المعرفة الجزائر2011.

–سلوان المطاع في عدوان الأتباع لأبي عبد الله محمد بن الظفر الصقلي،دار الألمعية للنشر و التوزيع ، قسنطينة، الجزائر2011.

–كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، بمشاركة مجموعة من الأساتذة،منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م،وزارة المجاهدين الجزائر2007م.

وفي مجال التحقيق نذكر مجهوداته في هذا الميدان:

–تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر و العقيان لأبي عبد الله التنسي،دار موفم للنشر الجزائر2011.

–أخبار المهدي بن تومرت لأبي بكر الصنهاجي، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ط1975– ط2 1986م،

–بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحي بن خلدون، ج1 ،إصدرات المكتبة الوطنية، الجزائر1980م

–أنس الوحيد و نزهة المريد للشيخ العلامة المتصوف أبي مدين شعيب.

–زهر البستان لمؤلف مجهول خاص بالسفر الثاني أما الأول و الثالث فهما في عداد المفقودين.4

و رغم تقدمه في العمر إلا أن أستاذنا مازال يشتغل في حقل التحقيق إلى حد كتابة هذه الأسطر فهو عاكف على تحقيق مجموعة من المخطوطات لفطاحلة علماء تلمسان من بينهم كتاب النجم الثاقب لابن صعد، و كتاب الحسبة للعقباني ، كما هو بصد إعادة تحقيق كتاب المسند الصحيح لبن مرزوق الذي حققته الدكتورة ماريا خيسوس بيغرا. نرجو له الصحة و طول العمر و أن يوفقه الله لإتمام هذا الأعمال التي تعد إضافة إلى مكتبة التاريخ الوسيط بالجامعة الجزائرية.

لقد تعرفت على أستاذ الأجيال الدكتور عبد الحميد حاجيات عندما بدأت مسيرتي في مجال العمل الجامعي و البحث العلمي، فهو الذي أشرف على أطروحتي في الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، فأصبحنا صديقين رغم التباين في السن و طبيعة المزاج و التكوين،كنت أطرق بابه متى شأت فكان يستقبلني بمنزله بحفاوة و تقدير و استعداد لتقديم أي مساعدة في مجال البحث.

ومن الطريف أن الاختلاف هو الذي جمعنا و قربنا إلى بعضنا.كنت أرى فيه العالم الجليل المتضلع في التاريخ وكان يعتبروني ابنه وزميلا له.

لقد اتصلت به مرارا لعدة أسباب مختلفة كالاستشارة العلمية و الشخصية، وكذلك قصد التوجيه في مجال التوثيق التاريخي فلقد كانت معرفته بالمخطوطات بدون منازع، إلا أنني لم أشعر قط و أنا بجانبه شعور التلميذ أمام شيخه حسب التعبير الجزائري،ذلك أنه كان يسألني عن كل ما يرتبط بالبحث التاريخي و المؤسسات الجامعية و المكتبات العمومية، فكنت أشرح له كل ما يهمه و بذلك كنت أشعر دائما أنني أمام باحث من زملائي أستفيد منه و أفيده في مجال تعاون أخوي و محترف، و لذلك كان التعاون بيننا لا يقتصر على مستوى الخطاب كما شائع بين جل الجامعيين الجزائريين، بل تجاوزه ليصبح تعاونا علميا.

كنت أتصل به لأستشيره من الناحية المنهجية و التوثيق بشأن الأبحاث التي كنت أنجزها، و الكتب التي أنشرها، وكنت أستفيد من ملاحظاته الغنية و أقدم له انطباعي خلال بعض الملتقيات التي شاركت فيها، كما قمت معه برحلة علمية إلى المغرب الأقصى وزرنا سويا جامعة ظهر المهراز بفاس و التقينا هناك بالأستاذ الدكتور هاشم العلوي الذي رحب بنا في المغرب، وزرنا كذلك المكتبة الوطنية ومعهد الدراسات الإفريقية بأكدال –الرباط– و كنت أستفيد من ملاحظاته الدقيقة في هذه الزيارات.

2–الحصيلة العلمية للأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات:

لمؤرخنا ما يربو عن المئة بحث منشور في تاريخ المغرب الإسلامي عامة، و تاريخ المغرب الأوسط خاصة، و مشارك به في الملتقيات و الندوات العلمية داخل الجزائر و خارجها ، و نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1–ابن خلدون في بجاية، مجلة الأصالة، العدد19 ،مارس–أبريل 1974.

2– المسالك و الدروب بالمغرب الأوسط ودورها الحضاري خلال العصر الإسلامي، المجلة العربية للثقافةالألسكو، العدد5 سبتمبر، تونس1983.

3–ابن خلدون المؤرخ، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ،جامعة الجزائر،العدد7 ،1993.

4–تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط،مجلة الحضارة الإسلامية، جامعة وهران،عدد خاص السنة الأولى 1993.

5–التطور الحضاري لمدينة تلمسان في العصر الوسيط، مجلة الثقافة الشعبية،جامعة تلمسان، العدد7جوان 1998

6–ملاحظات حول تطور الحركة الفكرية بالجزائر في عهد الموحدين،مجلة كلية الاداب و العلوم الإنسانية ، العدد1 مجلد2 نوفمبر2002.

7–ملاحظات حول منهجية الدراسات التاريخية للمغرب الإسلامي في العصر الوسيط ،مجلة حولية المؤرخ،العدد1 الجزائر2002.

8–عنابة في عهد الحفصيين ، مجلة الأصالة العدد34–35.

9–مساهمة المغرب العربي في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية،مجلة الدراسات التاريخية،العدد7 يناير 1982

10- مبدأ الشورى في نظام الحكم بالمغرب العربي خلال العصر الوسيط، مجلة التاريخ العدد12 السداسي الأول1982م

11–التطور المذهبي بناحية الأوراس في العصر الوسيط مجلة الأصالة العدد64

12–الحياة الثقافية في ليبيا في القرن 12م من خلال رحلة الورتلاني، مجلة الثقافة الشعبية، كلية الاداب و العلوم الإنسانية و الإجتماعية،جامعة تلمسان العدد6ديسمبر1997

13–حول شخصية عقبة بن نافع الفهري، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ،جامعة الجزائر،العدد1 ،1986.

14–الولي الصالح سيدي محمد الهواري،حياته و منزلته ضمن التصوف المغربي، مجلة الثقافة،الجزائر العدد88 ،1985.

* بالإضافة إلى ذلك شارك أستاذنا في ملتقيات وطنية و دولية ألقى فيها محاضرات من بينها:

–ابن خلدون و الدولة المرينية، الملتقى الدولي حول ابن خلدون، فرندة سبتمبر1983 و نشرت ضمن أعمال الملتقى.

–أثر الفتوحات الإسلامية في الحياة الثقافية بالحجاز في عهد الخلفاء الراشدين الملتقى الدولي الثالث حول تاريخ جزيرة العرب، الرياض،21–27أكتوبر1983.

–الحملة الصليبية الأولى و أثرها في تطور العالم العربي،ندوة دولية ،حطين،دمشق11–13جويلية1987.

–الحياة الثقافية بالجزائر في عهد بني حماد،الملتقى الدولي الأول حول تاريخ قلعة بني حماد،المسيلة،23–25سبتمبر 1987.

–تطور التيار الصوفي في عصر المقري،الملتقى الدولي حول أبي العباس أحمد المقري، جامعة تلمسان13–14جوان2001.

–دور بني عامر في تاريخ الغرب الجزائري أيام الدولة الزيانية،الملتقى الوطني حول تاريخ منطقة سيدي بلعباس خلال المرحلة الإستعمارية ، جامعة الجيلالي ليايس سدي بلعباس12–13 نوفمبر 2001.

–تطور الخطاب الديني الصوفي بالمغرب العربي و علاقته بالسلطة،الملتقى العالمي الرابع عشر لمنتدى الفكر العربي المعاصر حول الدولة و المجتمع و الدين في المغرب العربي المعاصر، مؤسسة التميمي،زغوان،23–25جوان2004.

–تطور الخطاب الديني الصوفي بالجزائر خلال القرنين19–20م،الملتقى الوطني حول دور الزوايا إبان المقاومة و الثورة الجزائرية،جامعة وهران26 ماي2005.

كما أشرف الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات على ما يزيد عن(20) أطروحة دكتوراه و رسالة ماجستير و نذكر منها:

–أطروحة دكتوراه بعنوان"الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين"إعداد الطالب محمد الأمين بلغيث،قسم التاريخ،كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية،جامعة الجزائر،ماي 2003.

– أطروحة دكتوراه بعنوان"الحركة العلمية الحنبلية و أثرها في المشرق الإسلامي خلال القرنين السادس و السابع الهجريين (12–13م) إعداد الطالب خالد كبير علال ،قسم التاريخ،جامعة الجزائر،ديسمبر2003.

–أطروحة دكتوراه بعنوان"النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري(10م)إعداد الطالبة فاطمة بلهواري،قسم التاريخ و علم الآثار جامعة وهران، جوان2005.

– أطروحة دكتوراه بعنوان "المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية دراسة أثرية معمارية و فنية، إعداد الطالب عبد العزيز لعرج ،معهد الآثار، كلية العلوم الإنسانية ، نوفمبر1999م.

–التطور السياسي و الحضاري للدولة العبد الوادية في عهد السلطان يغمراسن(633–681هـ/1235–1282م) من إعداد الطالب بلعربي خالد،قسم التاريخ،كلية الآداب و العلوم الإنسانية،جامعة سيدي بلعباس،ماي2005م.

–الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان، من إعداد الطالب لخضر عبدلي،قسم التاريخ كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الإجتماعية،جامعة تلمسان،مارس2005م.

–رسالة ماجستير بعنوان"اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين،إعداد الطالب،مسعود كواتي، معهد التاريخ ،جامعة الجزائر،ديسمبر1992م.

–رسالة ماجستير بعنوان"الحياة الفكرية ببجاية من القرن السابع الهجري إلى القرن التاسع الهجري،إعداد الطالب محمد الشريف سيدي موسى،قسم التاريخ،كلية العلوم الإنسانية،جامعة الجزائرديسمبر2002.

3– منهجه العلمي في الكتابة التاريخية:

يعتمد منهج الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات في الكتابة التاريخية على الجد و المثابرة في البحث و العمل وحب المادة التاريخية، و في ذلك يقول في إحدى مناقشته لأطروحة دكتوراه:"حب المعرفة و الصبر على تحصيلها و الجد و المثابرة في البحث و العمل،مهما كانت الصعوبات و المشاق التي تقف في سبيله و لا يجوز أن تكون ندرة المصادر أو غموض الوقائع و الحقائق التاريخية و اضطرابها عائقا أمام رغبته الجامحة في البحث عن الحقيقة".[2]

وكان أستاذنا يؤمن أن على المؤرخ عدم الانحياز لهذا أو ذاك الطرف المشارك بالحدث التاريخي لأن ذلك يفقد مهمته الأساسية كباحث في التاريخ و إلى ذلك يشير إلى"عدم التحيز و المدارة... و الاقتصار على الطابع التمجيدي في الكتابة التاريخية..." ومن جهة أخرى يؤكد أستاذنا على أهمية أن يشعر المؤرخ بالمسؤولية و يتصف بالتواضع إزاء ما يقوم به من أعمال، و أن يبتعد عن حب الشهرة و الظهور، و أن لا يكتب من أجل الحصول على الألقاب و المناصب و أن يكون المؤرخ ذا عقل واع و مترتب و منتظم، و أن يتصف بالترو و عدم مهاجمة الآخرين و تصيد أخطائهم و أن يكون أسلوب الرد مبين لهم بالحقائق المنهجية و العلمية و هو يدعو إلى الاهتمام بالمخطوطات فيقول:"إن الاهتمام بتحقيق المخطوطات هو واجب علمي من باب المساهمة في كتابة تاريخ المغرب عامة، و تاريخ الجزائر خاصة".[3]

على أن أستاذنا يرى بأن الكتابة التاريخية يجب أن تبتعد عن الغلو و المبالغة في المدح أو الذم و استبعاد كل ما هو من باب العجائب و الخوارق في الكتابة حتى لا تصبح مملة"[4].

و قد دعا مؤرخنا إلى ضرورة اعتِماد على المخطوطات في كتابة التاريخ الوسيط الإسلامي، فالتاريخ يصنع بالمخطوط، لا تاريخ بدون مخطوط؛ كما كان يرددها عدة مرات في مناقشته للطلبة و إلقاء محاضرته عليهم.

والتاريخ لدى أستاذنا ليس مجرَّد نقْل للأحْداث السياسيَّة وسيَر الملوك والسَّلاطين، بل هو تصوير للحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والعمرانيَّة بما تشمله هذه الحياة من رُقِيٍّ وازدِهار، أو تخلُّف وتدهْور، وهو في ذلك يُتابع التَّفاصيل الدقيقة للموضوع الذي يتحدَّث عنه.لهذا نجده يكتب عن الأحوال الاقتصادية في عهد الدولة المرابطية و الموحدية و الزيانية فالتاريخ لا يمكن قراءته بمعزل عن حركية المجتمع.

4– منهجيته في تحقيق المخطوطات.

لا مراء أن أستاذنا أمضى سنوات من عمره منكبا على تحقيق المخطوطات،استحق أن يحتل مكانة متميزة على خارطة المتخصصين في حضارة المغرب الأوسط و تاريخه، فلا يمكن لأحد أن ينكر جهوده الرائدة في تحقيق عدد هام من المخطوطات المتعلقة بتاريخ المغرب الأوسط الزياني ككتاب"تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر و العقيان" لأبي عبد الله التنسي، و أخبار المهدي بن تومرت لأبي بكر الصنهاجي وبغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحي بن خلدون و زهر البستان لمؤلف مجهول و أنس الوحيد و نزهة المريد للشيخ العلامة المتصوف أبي مدين شعيب و مازال كما ذكرنا آنفا عاكفا على التحقيق، و السؤال المطروح هل التزم أستاذنا بقواعد و منهجية تحقيق المخطوط المتعارف عليها؟

من الإنصاف القول أن أستاذنا قد أظهر علو كعبه في مجال التحقيق، فهو المتمكن من قواعد اللغة العربية و المدرك لمصطلحاتها و لعل نظرة فاحصة لأعماله المحققة تجعلنا نلاحظ مايلي:

– يورد أستاذنا سيرة المؤلف و عصره و اتجاهاته و ثقافته، و غيرها من المعطيات التي تستلزمها قواعد التحقيق و تساهم في فهم النص و ضبطه،فهو يخصص فصلا تمهيديا أو مبحثا خاصا لدراسة صاحب النص و عصره ووظيفته و مذهبه ومنهجه ودواعي تأليف كتابه.

–يجتهد أستاذنا في تفحص النسخ المتوفرة لديه فيصنفها إلى نسخ أساسية وهي التي لا يوجد فيها نقص كبير و أقربها إلى نسخة المؤلف التي هي النسخة الأصل، و نسخ ثانوية و هي عادة ما يعتريها نقص ملحوظ و ثغرات كبيرة و لا تنتمي إلى النسخة الأصل.

– حينما يجد أستاذنا فراغا أو بياضا في النسختين المعتمدتين، يجتهد في وضع هامش يستنتج فيه ما انطمس من كلمات حسب ما يقتضيه السياق العام، وهو ما تتطلبه قواعد التحقيق التي تستلزم ترك اللفظة كما وردت في الأصل. و التعليق على الخطأ في الهامش،

–عند وجود اختلافات بين النسخ يستخدم أستاذنا الرموز للدلالة على الزيادة(+)، أو النقص(–)، أوالمعقوفتين([ ]) لإبراز النقص الحاصل في النسخة الأم.

–اهتداءه بالمعاجم اللغوية لفهم الكثير من المصطلحات الواردة في المخطوط،كلسان العرب لابن منظور، أو تاج العروس للزبيدي، أو جمهرة اللغة لابن دريد، وهو بذلك يحاول فهم معنى الخطاب الذي قصده صاحب المخطوط، و استيعاب النص استيعابا كاملا.

–وبموازة ما سبق، فإن أستاذنا يضع هوامش الشروح، تتعلق بالتعريف بالأعلام، و أسماء الأماكن التي تحتاج إلى تدقيق لمعرفة مواقعها، فالتعريف بها ضرورة تفرضها منهجية التحقيق لتقريب النص إلى القارئ، فمحققنا يقوم بذلك محاولة منه خدمة القارئ و إعانته على مضمرات النص و خلفياته و أبعاده السياسية أو الثقافية أو الاقتصادية و الاجتماعية.

–يولي الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات أهمية كبرى للتعليق ضمن هوامش التحقيق، على ما ورد في متن صاحب المخطوط من قضايا تتناقض مع الواقع التاريخي ، فهو يتدخل للتعليق و لو بشكل مختصر يسعى من خلاله الى الكشف عن الفرق القائم بين النص المحقق و الواقع التاريخي.

– يورد الأستاذ في تحقيقه صور لصفحات من المخطوط، خرائط توضيحية، فهرس الأعلام و الأماكن و القبائل،ثم يتبعها بقائمة المصادر و المراجع التي وظفها في دراسته و تحقيقه للمخطوط، ثم أخيرا يضع فهرس الموضوعات.

لقد كان يسعى الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات إلى تفادي التحقيق المهلهل الذي يخل بقواعد التحقيق الرصين، و العمل على إخراج النص وفق و ضبطه بالطريقة الصحيحة و المتكاملة و تنقيحه جيدا، و تطهيره من كافة أشكال التحريفات و المغالطات التي تشوبه وذلك من سمات التحقيق العلمي الرصين.[5]

5–آراءه في الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب:

لقد بين الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات العوامل الرئيسية التي ساهمت في انتشار الإسلام في بلاد المغرب يذكر باحثنا بقوله:"ومن العوامل التي أدت إلى انتشار الإسلام بين البربر ،بساطة العقيدة الإسلامية ، وملائمة كثير من القيم التي يدعو إليها للمناخ الأخلاقي السائد بين الأهالي ، وخاصة البدو. و لاشك أن هؤلاء كانوا يعيشون حياة تشبه حياة العرب آنذاك ، إلى حد بعيد ،سواء في المجال الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي. فلا غرابة أن يعتنق الكثير منهم الإسلام لأول اتصالهم به...ومن أهم انتشار سرعة الإسلام بالمغرب ما عرفته المسيحية،قبل ذلك ،من فتن وحروب دينية و اضطهاد لبعض المذاهب من طرف الحكام ، الأمر الذي جعل كثيرا من الأهالي يعرضون عن الديانة المسيحية...ثم أن الإسلام لم يلغ ماورد في الديانات السماوية السابقة،بل جاء متمما لها فكان اعتراف

الإسلام بصحة هذه الديانات و تضمن القران و الحديث لكثي من قصص الأنبياء و الرسل ، و تعرضها لكثير من المسائل الإعتقادية ، وتناولهما إياها بطريقة منطقية سليمة مما ساعد على دخول الأهالي في الإسلام ،وسهل الانتقال من النصرانية إلى الدين الجديد.[6]

ويمضي مؤرخنا بإضافة أسباب أخرى لانتشار الإسلام في بلاد المغرب بقوله"ومما تجدر الإشارة إليه أن الصراع المذهبي الذي قام إبان الفتنة الكبرى، و أدى إلى نشأة أهم الفرق الإسلامية، من شيعة و خوارج و سنيين، كان عاملا هاما من عوامل انتشار الإسلام بين أهالي المغرب، إذ أن بث المذاهب السياسية بينها، الناتج عن منافسة الفرق على كسب الأنصار كان يقتضي تعميق الشعور الديني لدى السكان، وتعليمهم مبادئ الإسلام"[7].

ثم يشرح لنا مؤرخنا الأوضاع السياسية التي عرفتها بلاد المغرب الإسلامي بعد الفتح و التي نتج عنها ظهور فرقتي الإباضية و الصفرية فيقول" و كانت الأوضاع السياسية آنذاك في سائر العالم الإسلامي، تمتاز بتزايد سخط الشعوب المفتوحة على ولاة بني أمية، و سياستهم الموجهة أساسا نحو إرضاء الخلفاء و تزويدهم بالأموال و العبيد و الاعتماد على العنصر العربي و ما التحق بهم من الموالي في تسيير شؤون المناطق الخاضعة لسلطتهم. و قد سعر زعماء الأحزاب المعارضة لبني أمية، من شيعة و خوارج، بتدهور الأوضاع في مختلف الأنحاء، فراحوا يبثون دعوتهم فيها، ويؤلبون شعوبها ضد بني أمية.في هذا الإطار تندرج دعوة الخوارج في بلاد المغرب"[8].

6– آراءه في الوجود المرابطي بالمغرب الأوسط:

يرى الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات بأن دولة المرابطين التي تأسست بالمغرب الأقصى سنة448هـ/1056م اهتمت بالإستيلاء على المغرب الأوسط منذ فترة حكم يوسف بن تاشفين الذي كان يرى أن ملك المرابطين لن يتحقق إلا بالقضاء على آخر إمارة زناتية آنذاك،وهي إمارة تلمسان، و لهذا الغرض يوضح مؤرخنا بأن يوسف بن تاشفين،أناط مسؤولية إدارة العمليات العسكرية لدخول المغرب الأوسط، و توسيع الرقعة الجغرافية لدولة المرابطين إلى شخصية القائد" مزدلي" وكان ذلك سنة 472هـ/1080م،غير أن يوسف بن تاشفين في نظر مؤرخنا أخذ زمام المبادرة بنفسه بعد ذلك قاصدا المغرب الأوسط،فدخل تلمسان بعد أن تمكن من قتل أميرها العباس بن بختي و الكثير من رجال مغرواة.ثم يواصل مؤرخنا حديثه عن يوسف بن تاشفين الذي استولى على وهران ثم تنس،وجبل الونشريس، و الشلف، و أخيرا على مدينة الجزائر سنة474هـ/1082م، حيث أصبحت حدود دولة المرابطين محاذية لمملكة بني حماد[9].

ووفق هذه النظرة العميقة يؤكد باحثنا بأن تغلب بنو هلال و سليم على إفريقية من بين العوامل التي دفعت الحماديين للتوسع نحو الغرب و محاولة نقل عاصمتهم إلى المغرب الأوسط، ثم أن القلاقل و الفوضى التي كانت تعيشها مملكة بني حماد من جراء تنافس العرب على امتلاك الأراضي في نواحي الجنوب و مانشب على إثر ذلك من حروب، و تعرض بلاد الزاب إلى هجومات بني توجين و مغراوة و غيرهم من زناتة المغرب الأوسط، دفع بالمرابطين في نظر مؤرخنا إلى النظر في ذلك بعين الرضى إذ" أن من شأنها أن تزيد مملكتهم سعة و أن ترغم الحماديين على اتخاذ موقف الدفاع، عوض القيام بدور الهجوم و الغزو".[10]

وعن الوضعية السياسية التي كان يعيشها المغرب الأوسط في عهد المرابطين فيقول" و هكذا يبدو أن بلاد المغرب الأوسط عرفت في عهد المرابطين استقرارا نسبيا ،لم يكدر صفوه غلا في مناسبات قليلة،ناتجة غالبا عن تحرك بعض قبائل العرب نحو بلاد الزاب و مايليها من المناطق، و ما نتج عن ذلك من ضغط على قبائل زناتة التي كانت تقطن تلك النواحي سابقا، و اضطرت إلى النزوح إلى جنوب المغرب بحثا عن أراض جديدة ،فأصبحت بعضها تحتل مكانة هامة على مسرح تاريخ هذه المنطقة،مثل بني ومانو،وبني يلومي".[11]

أما عن الأوضاع الاقتصادية و الثقافية التي كان يعيشها المغرب الأوسط في ظل حكم المرابطين فيقول"فنشطت التجارة بين مختلف أقطار الدولة، وكانت بلاد المغرب الأوسط، تحتل مركزا هاما بين بلاد السودان و بين الأندلس وجنوب أوروبا الغربية، و استرجعت تاهرت بعض أهميتها، أما تلمسان فلا شك أنها أصبحت أهم مدن المغرب الأوسط بعد تأسيس تاجرارت، و بعد أن استقر فيها ولاة المغرب الأوسط من المرابطين، فازدهرت تجارتها. و يلاحظ نفس الإزهار في المجال المعماري، حيث بنى المرابطون مساجد هامة بتلمسان و ندرومة و الجزائر، و شيدوا القصور و المنازل الفخمة بتاجرارت

و غيرها و كذلك في المجال الثقافي، رغم ما امتاز به ذلك من ضيق الأفق الفكري، و التشدد في التمسك بالفروع و نظرية أهل الحديث في العقيدة، وكان ذلك بمثابة انطلاقة صالحة في المجال الحضاري"[12].

6– آراءه في دولة الموحدين بالمغرب الأوسط:

لقد بين الدكتور عبد الحميد حاجيات طريقة خضوع المغرب الأوسط لسلطة الموحدين في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي ذاكرا إستراتجيته الحربية التي رسمها في تحقيق هذا الهدف يقول" و في سنة535هـ بدأت حركة الموحدين الكبرى، بقيادة عبد المؤمن عبر مناطق المغربين الأقصى و الأوسط...ثم توجه الموحدون نحو المغرب الأوسط، وحلو بقرية تاجرا...

و يبدو أن المبادرة في هذه المسيرة كانت لعبد المؤمن، الذي اتبع طريقة حربية محكمة كانت تتضمن خطتين رئسييتن، أولاهما تنحصر في ملازمة الجبال و الاعتصام بها، و ثانيهما الإبتعاد عن مراكز قوة المرابطين و عن عاصمتهم... و عندئد توجه بجيشه صوب تلمسان، و نزل بمكان خارجها من جهة المرتفعات الواقعة جنوب المدينة بينما لازم تاشفين بن علي و رجاله شمال شرقي المدينة قرب وادي "اصطفصيف" و لازم كل فريق مكانه من دون أن يقدم على مناجزة الفريق الأخر. وفي تلك الأثناء وصل جيش لبني حماد أرسله الأمير يحي بن العزيز مددا للمرابطين بقيادة الطاهر بن كباب... و بعثه غروره عل اقتحام موقعهم بالصخرتين و لكنه مني بهزيمة كبرى...وكان لهذا الحدث أثر سيئي في نفوس المرابطين، فتوجه تاشفين بن علي إلى وهران...حيث كان عازما على الجواز إلى الأندلس إذا ما فشلت مطاردته للموحدين في تلك المناطق، و لكنه لم يتمكن من تحقيق خطته و توفي ليلة 27 رمضان539هـ عندما غادر الحصن الذي لجأ إليه بوهران... وكان لوفاة تاشفين بن علي أثر في سير الأحداث بعد ذلك،إذ سرعان ما استولى الموحدون على وهران ثم تلمسان... و في أوائل سنة547هـ نهض عبد المؤمن بجيوش الموحدين متجها نحو سلا، ثم سبتة،موهما أنه يقصد الأندلس،ثم عدل عنها إلى بلاد المغرب الأوسط، يريد افتتاح ما بقي منها... فاستولى على مليانة،ثم الجزائر،ثم توجه إلى بجاية فملكها...ووجه جيشا ابنه عبد الله،إلى قلعة بني حماد ففتحها

عنوة...وأرسل عبد المؤمن جيشا آخر إلى قسنطينة... و بعد هذه الحركة أصبح القطر الجزائري(المغرب الأوسط) كله تحت سلطة الموحدين..."[13]

وعن أبرز الأهداف التي كان يسعى إليها الموحدون من وراء إخضاعهم المغرب الأوسط يجينا أستاذنا في ذلك بقوله"

و لاشك أن مهمة ولاة الموحدين على تلمسان و بجاية كان يشمل من جهة،تدبير شؤون البلاد و جمع الضرائب، و إرسالها إلى السلطة المركزية في مراكش ، و من جهة أخرى الحفاظ على سلطة الدولة الموحدية في المنطقة..."

وعن تقويمه لحركة الموحدين في بلاد المغرب و هل نجحوا في مسعاهم يقول مؤرخنا"إن دولة الموحدين أصبحت تمثل أكبر قوة عسكرية و سياسية في العالم الإسلامي، الذي كان يعاني منذ أكثر من نصف قرن من خطر الحروب الصليبية و أصبحت آمال المسلمين تتوجه نحو هذه الدولة الجديدة القوية، و ترجو منها ان تدافع عن حوزة الإسلام، و تساهم مساهمة فعالة في رد عدوان الصليبيين".[14]

و يؤكد مؤرخنا على أهمية الإنجازات العلمية التي تحققت في المغرب الأوسط في عهد الموحدين فيقول" و في عهد الموحدين ازدادت العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط و مختلف الأقطار الإسلامية الأخرى قوة و نشاطا، و تواصلت حركة هجرة العلماء من الأندلس إلى أقطار المغرب، مما ساعد على انتشار العلم بالمغرب الأوسط فنبغ فيه كثير من العلماء وكان لهؤلاء جميعا حضور فعال في مجال الحركة العلمية بالمغرب الأوسط حيث نالت مختلف العلوم الدينية و اللسانية و الاجتماعية و الطبيعية نصيبا من الاهتمام"[15].

7- آراءه في وصول الزيانيين إلى حكم المغرب الأوسط:

يعد الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات الملقب ب"عميد المؤرخين الجزائريين،و أحد أعمدة الباحثين المتخصصين في تاريخ الدولة الزيانية فهو باحث ومؤرخ ،كتب وحقق عن تاريخ هذه الدولة ما يزيد عن خمسين بحثا بين تأليف و تحقيق ، فالرجل وهب كل حياته لتاريخها. فكيف كتب مؤرخنا عن هذه الدولة التي عمرت أكثر من ثلاثة قرون؟.

ابتدأ عهد الدولة الزيانية في المغرب الأوسط سنة633هـ/1235م بعد سقوط الدولة الموحدية، فلم يعد المغرب الأوسط بعد ذلك تابعا للخلافة الموحدية في مراكش بل غدا دولة مستقلة سياسيا، حكمه يغمراسن بن زيان وأسرة بني زيان من بعده و كان كل واحد من حكامها يسمى سلطانا، و لقد اقتصر دور السلطان الزياني على التسمي بأمير المسلمين من غير أن يجرؤ قبل ملك أبي تاشفين الأول على التسمي بالخليفة كما كان الموحدون يتلقبون به دون أن ينازعهم[16]

يرى أستاذنا أن تأسيس الدولة الزيانية في المغرب الأوسط لم يأت دون مقدمات بل كان وليد"تفكك الدولة الموحدية و تصدع الصرح الذي شيده عبد المؤمن، و من خلفه كبار أمراء هذه الدولة...ثم بعد ان حدثت اضطرابات خطيرة في تلمسان بقيام احد رجال لمتونة المستخدمين آنذاك في الجند ، على الوالي فاعتقله،فكان دخول بني عبد الواد تلمسان سنة627هـ/1228م بقيادة جابر بن يوسف،خطوة أولى نحو تأسيس دولتهم".[17]

ويوضح الدكتور أن الأهداف التي كان يسعى إليها بنو زيان بعد تأسيس دولتهم في المغرب الأوسط و هي " السعي لجمع شتات قبائل المغرب الأوسط و تكوين قوة سياسية في هذا الإطار الجغرافي بين إفريقية و المغرب الأقصى" ثم يعرج على أن التدخل المريني و الحفصي في المغرب الأوسط راجع إلى أن بنو زيان"كلما تمكنوا من إبعاد الخطر المريني عن قطرهم،قوي نفوذهم في سائر نواحي، وفرضوا سلطتهم على مختلف المدن و القبائل القاطنة به،ولكن إذا ما تغيرت الأحوال و مني بنو عبد الواد بالفشل و الهزيمة،وافترق الشمل و خلعت المنطقة الشرقية الطاعة،مما يؤدي إلى فراغ سياسي في البلاد ينتج عنه حتما احتلالها من طرف الدولة المرينية".[18]

و يجزم باحثنا أن تطور الحركة العلمية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني ما كانت لتحدث لولا" عناية ملوك بني زيان بالعلم و العلماء،طيلة ما يزيد على ثلاثة قرون، و اهتمامهم الكبير بإنشاء المؤسسات العلمية و استدعاء أشهر العلماء للتدريس فيها" كما يرى أستاذنا بأن الإنجازات العمرانية التي تحققت في تلمسان الزيانية" لم تأت صدفة أو لمجرد رغبة الملوك الزيانيين في تخليد ذكرهم، بل اقتضاها النمو الثقافي الذي شمل أقطار المغرب".[19].

و الرغم من النمو الثقافي الذي شهده المغرب الأوسط في ظل الدولة الزيانية كما يشير إلى ذلك مؤرخنا إلا أنه يرى"ان معظم إنتاج هذه الفترة لم يحظ بإقبال الباحثين على دراسته و تحقيقه،حيث أن بعضه فقد و ضاع، و البعض الآخر مودعا في غياهب المكتبات،ينتظر من يكتشفه و يخرجه إلى النور".[20]

الخاتمة:

فإذن مؤرخنا الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات، يعد في طليعة الأساتذة المتخصصين في التاريخ الوسيط الإسلامي، وله إسهامات رائدة في هذا المجال،وهو ذو رؤية متقدة و آراء و تحليلات علمية مستفيضة في الأحداث التاريخية الخاصة بالمغرب الإسلامي ،وهو يعتمد المنهج العلمي الأكاديمي في الرؤية و الاستنتاج و التحليل، وهو متأني في آراءه و لا يترك الحدث يمر دون التوقف عنده قليلا، كما لا ينساق و راء الروايات في مصادرها الأولية، بل يحلل و يقارن و ليستنبط من أجل تقويم الحدث التاريخي ووضعه كما حدث في الزمان و المكان،وفق أسلوب سلس خال من التعقيدات و المزوغات اللفظية، وهو يكتب و فق أسلوب المدرسة التاريخية الجزائرية، فجاءت عبارته منسابة واضحة مقرونة بالتسلسل و التحقيب الزمن التاريخي في التدوين، و اللافت أنه يمتلك تلك الأرضية التاريخية الواسعة لمجمل الأحداث التاريخية في بلاد المغرب ، مما سهل عليه كمؤرخ من ربط الأحداث بعضها مع البعض الآخر.

كما لاحظنا في غزارة إنتاجه التاريخي و مساهماته في تاريخ المغرب الأوسط بشكل خاص، و مايزل يجد في العطاء العلمي التاريخي بوتائره المتصاعدة.

الهوامش:

1–السيرة العلمية للأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات، مطبوعة على جهاز الإعلام الآلي(نسخته الشخصية).

2 حديث أدلى به الأستاذ في إحدى مناقشات أطروحة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي بجامعة تلمسان.

3– أبي زكرياء يجي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،(مقدمة التحقيق)تحقيق عبد الحميد حاجيات،صدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، السنة 2007.ص65

4– مقابلة خاصة مع الأستاذ الدكتور عبد الحميد حاجيات في بيته بتاريخ11–03–2014.

5–ينظر إلى الكتب المحققة التي أشرنا إليها سابقا في المتن، فطريقته في التحقيق هي نفسها في كل الكتب التي قام بتحقيقها.

6– عبد الحميد حاجيات و آخرون، الجزائر في التاريخ ،ج3 المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص ص، 57، 58.

7–نفسه،ص62.

8–نفسه،ص63.

9– نفسه،ص296.

10–نفسه،ص297.

11–نفسه،ص297.

12–نفسه،ص335–340.

13–نفسه،ص307.

14–نفسه،ص308.

15– نفسه،ص340.

16–بلعربي خالد، ورقات زيانية،دراسات و أبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني،دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع الجزائر2014 ص48.

17– عبد الحميد حاجيات و آخرون،المرجع السابق آخرون،401.

18–نفسه،ص434.

19– نفسه،ص438.

20– نفسه،ص440.